

الأحد الرابع من الصوم

"مرقس 9: 17-31"

" ان هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة و الصوم".

حدث إنجيل هذا اليوم يرسم لنا مشهداً يواجهه إنسان اليوم يوماً بسبب ظروف حياته الخاصة " المسيح في مواجهة الإنسان الذي يعذّبه الشيطان".

الى جانبهما التلاميذ، "و أبو الصبي، عاجزين بسبب إيمانهم ، الذي يسميه المسيح ضعيفاً ، عن مساعدة هذا الصبي من شرّ الشرير. مظهر ذلك الصبي هو مظهر لكثير من شعوب مجتمعاتنا المعاصرة. ما نلاحظه في هذا الصبي هو العنف و البشاعة. جعله الشيطان إنساناً لا إجتماعياً أصمّ و أكم: و هو يتمرّغ و يُزبد مرمياً على الأرض بدون أدنى حدود لكرامة لخليقته البشرية.

أما في حضارة أيامنا المعاصرة فتطال جوانب العنف المختلفة جوانب كثيرة من الحياة بطرق عديدة. فنرى العنف الجنسي مثلاً للحبّ الإنساني و يرمي الإنسان في حيوانية المتعة العابرة، على حساب جمال العلاقة المقدسة بين الطرفين.

العنف السياسي متفشّي في أماكن كثيرة من عالمنا. السجون السياسية تقدم أبشع صور المعاملة اللاإنسانية. العنف الإجتماعي يخلق و يوسّع الشرخ بين الطبقات الإجتماعية. فترى طبقة تزداد صلابة و رجاء، و أخرى تزداد حاجة و فقراً و عناء. العنف في كل مكان و تظهر على صورة الحياة لطح عديدة بشعة لا جمال فيها و لا وداعة.

ما هو موقف المسيحي المألن بالحب و الإيمان أمام سيطرة كل هذه العوارض اللامسيحية و الشيطانية؟

قد لا نكون نحن المسيحيين أوفر حظاً من " أب ذلك الصبي" بان نعترف بعجزنا و ضعف إيماننا، و نسأل الرب السؤال ذاته: " إن استطعت يا رب شيئاً لدنيانا و الامنا فتحن علينا و أعنا". و لما كان الكثير من المسيحيين قد اقتنعوا بأن الشر أصبح سرطاناً لا يسمح بأمل حياة مسيحية، يقفون موقف اليائس أمام صرّاعات الدهر و الام البشر المعذبين و لسان حالهم يردد: " لا يمكنني أن أفعل شيئاً. جواب المسيح على سؤال أبي الصبي واضح: ان المسألة ليست مستعصية، و إن طرد هذا الشيطان ليس أعلى من قدرة التلاميذ و من إختصاص السيد فقط، و لم تُقفل دوننا أبواب العمل من أجل حلّ مشاكل دهرنا. لكي نلقيها على عاتق الرب. سرّ الموضوع هو اننا تلاميذ، لكننا جيل مُتعب و غير مُحتمل " و غير مؤمن" أو قليل الإيمان".

إيماننا غالباً مبني على سطحيات دينية مسيحية. يعتبر واحدنا نفسه مؤمنا بمجرد تتيميم بعض الواجبات الدينية و لا نقصّر في بعض الممارسات الطقسية و نقول: " جوهر الدين المعاملة". و نعتبر بأننا أوفينا الله حقه و تدينا بالمطلوب بالمحافظة على مسلكية حسنة. و أحياناً نسميها مسيحية؛ حيث نعبر خلالها عن الكثير من التهذيب الإجتماعي و الإحسان و الخدمات العامة و الإحترام و ما شابه. لذلك غالباً و في مناسبات عديدة نعتبر الصلاة أمراً ثانوياً و كذلك الصوم. " فالدين هو المعاملة" و الخلق الحسن هو المهم!.

بكلمة سريعة، نستطيع أن نكون واقعيين فنعبّر عن إيماننا بأنه يتجدد بممارسة أخلاقيات دينية سامية، و حينما نلتزم بها، نكون مسيحيين. و لكن في مفهوم كهذا نكون قد فرغنا إيماننا من فضيلتين هما الصوم و الصلاة معتبرين أن الإلتزام الحقيقي هو الجوهر. و ان الفضيلتين ثانويتين . يسمي المسيح إيماننا هذا " ناقصاً و ضعيفاً". إيمان كهذا لا يستطيع أن يواجه التحديات المعاصرة. الإيمان دون الصلاة و الصوم سطحي و ظاهري و غير فعّال. الخلق لا يلغي الصوم و الصلاة. بل يجب أن يُبنى عليهما و أن يكون أحد ثمارهما.

إن الصلاة كما يعرّفها القديس يوحنا السلمي الذي نعيّد لذكراه هذا الأحد؛ هي العُشرة مع الله. و الإنسان دائماً هو كائن تائه و قلق و خارج العشرة الإلهية. يقول المغبوط أوغسطين " لقد خلقتنا يا ربّ ميّالين إليك و لن نرتاح إلّا بك". فالصلاة هي مصدر السلام الداخلي، و أي سلام لا يبنى عليها فهو ظاهري و في باطنه القلق و الإضطراب.

و الصوم هو الذي يبني فينا النظرة السليمة للجمال في عالمنا، عالم الإباحية الذي يربينا على جماليات الخدعة، خدعة العين و الأذن و الطعام و اللذة و غيرها... يحتاج إنسان اليوم الى الصوم و الصلاة أكثر من أيّ وقت مضى، لأن إباحية الإستخدام و خدعة الجماليات الدنيا تزداد انتشاراً. فمن سيعيد ترتيب بيتنا و يجعل من العفة في الزواج أجمل من متعة اللذات، و المُثل العليا في المعاملة أجمل من دناءة المصلحة و الكلمة الإلهية أشهى من العسل؟

هنا نجد أهمية الصوم؛ و الصوم بالعمق هو التربية السليمة للجمال عند الإنسان. بشاعة العنف لا تمحوها إلّا وداعة الصوم.

الصلاة تعطينا السلام الداخلي و تمدّنا الى القريب بسلام و تدفعنا الى المحتاج كفاعلي سلام... و الصوم يعيد للذات جمالها الأصلي فيرى الإنسان جمالاته في السماويات بدل الأرضيات.

" نعم" إن هذا الجنس لا يخرج من حضاراتنا بشيء إلّا بالإيمان المبني على الصوم و الصلاة ".

أمين

المتر و بوليت بولس صليبيا